تقول : « ولكن ... ولكن ... هل يمكن ان يصبح « الارهاب الفدائي » ارقى مراتب النضال ، بل النضال الوحيد ومجال الثورة الابرز والافعل ؟ ذلك هو السؤال الذي تطرحه « قضية الخرطوم » خصوصا بعدما انتهت الى ما انتهت اليه ، ومرت بما مرت به » (النهار ٧٣/٣/٥) ودعا في النهار داعية آخر من دعاة ايلول الاسود المتحمسين ، الى الحوار مع قيادة الثورة من اجل « ... شق طريق اخرى غير هذه الطريق » (النهار ٣/٨) . واستنكرت صحيفة عربية اخرى الحادثة بقولها : « ان عملية أيلول الاسود في الخرطوم جاءت بمثابة نكسة مذهلة للعالم العربي ، مثلما كانت جريمة مروعة » (الحياة ٣/٦ نقلا عن الكويت تايمز) .

ان الذي قاد الى هذا كله كان ما يلي :

أولا : ان كثيرين من الذين شجعوا فكرة « أيلول الاسود » وعملياتها كانوا يفعلون ذلك من اجل انهاء وجود الثورة العلني والشرعي. كانوا يطرحون « أيلول الاسود » بديلا لما هو قائم . وكان هذا يقتضي ان تزول القوات والمواقع والمعسكرات والمنظمات الجماهيرية مقابل عمل سري مجهول . ولكن هذا العمل السري أصبح واقعا الان واصبحت له مسؤولياته . ولذلك أسرع كثيرون ممن أيدوه وهو فكرة الى التنصل منه عندما اصبح واقعا .

ثانيا : كانت عملية الخرطوم عملية على أرض عربية تستهدف أكثر من جهة عربية ، وأكثر من جهة دولية . وكونها قامت على أرض عربية ، ومست اكثر من جهة عربية ، بينها المملكة العربية السعودية ، أمر له اهميته الكبرى . فالمملكة العربية السعودية تلعب دورا بارزا في احداث المنطقة الان . وهي حتى الان تحاول ان تظل مهيبة في علاقاتها العربية والدولية . لذلك فان احتلال سفارتها وارتهان سفيرها وضيوفه وقتل بعض منهم كان لا بد من ان يهز دوائر عربية معينة . كما ان قيام مثل هذه العملية على أراض عربية ، اخاف أنظمة وأوساطا عربية من أن تقوم عمليات مماثلة على أراضيها .

وزاد الامر تعقيدا بالنسبة لبعض الاوساط العربية ان ديبلوماسيين امريكيين قد قتلا . وهو ما لا يرضاه انصار التفاهم مع الولايات المتحدة .

اما موقف الخرطوم الرسمي فلم يكن متوقعا ان يكون غير ذلك . ذلك ان حكومة الرئيس النميري قد قررت منذ حركة هاشم العطا ان تسير في خط جديد ، دعائمه ثلاث : الولايات المتحدة ، المملكة العربية السعودية ، قادة جنوب السودان . وقد قادت هذه الدعائم الثلاث السودان الى السير في الخط الاميركي . وجاءت عملية الخرطوم لتكشف هذه الحقيقة كما لم تكشف من قبل .

ولذلك استغلت حكومة النميري هذه الحادثة لتتخذ موقفا معاديا من الثورة الفلسطينية كلها . ولقد بادر النميري فألقى خطابا اعلن فيه الحرب الشعواء . ولم يكتف بذلك بل أرسل رسالة الى الملوك والرؤساء العرب دعا فيها الى تحرير الناشئة الفلسطينية من سيطرة العقلية المتعطشة للدم ووضع ضوابط للعمل الفدائي . وكان هذا يعني وقوف السودان الى جانب الاردن في عملية سحق ارادة الشعب الفلسطيني .

ان ما حدث في السودان جدير بالاهتمام . ذلك ان هذا الموقف العلني الصريح من الثورة الفلسطينية وافتعال المظاهرات المطالبة باعدام الذين نفذوا عملية الخرطوم ، لا تعبر عن « مدى الضغوط التي يتعرض لها النميري الان من اميركا لاعدام الفدائيين في الخرطوم ... » فقط (لسان الحال ٧٣/٣/٨). هناك أكثر من ذلك هناكخط داخلي يتبلور في اتجاه الولايات المتحدة .

واليوم يعود الحوار مع الخرطوم من جديد . ويبدو ان الحوار قطع شوطا بعيدا على طريق انهاء الازمة .

ولا بأس من الاعتقاد ان هذه الازمة مع حكومة السودان ستسوى مؤقتا ، ولكن هذا لا يعني ابدا ان مواقف حكومة السودان كانت « نزقة » عابرة، وانها كانت بلا دلالات . ان دلالاتها كبيرة ، وهي تستحق ان نقف عندها باهتمام ، لانها مؤشر من المؤشرات الهامة على علاقة الثورة الفلسطينية بالانظمة العربية ، خلال مسيرتها المقبلة .

وبينما يجري هذا كله تظل الحياة السياسية العربية تتكشف كل يوم عن متناقضاتها ، وعن انحدارها على طريق الاستسلام . ففي لبنان قامت قوات الاحتلال الصهيوني بعدوانها على مخيمي البداوي ونهر البارد ، دون ان تواجه بطلقة من غير « حرس المخيمات » . وفي المغرب أعلن الملك الحسن الثاني (البرق ٣/٥) عزمه على ارسال متطوعين الى سوريه في الوقت الذي كان زعماء